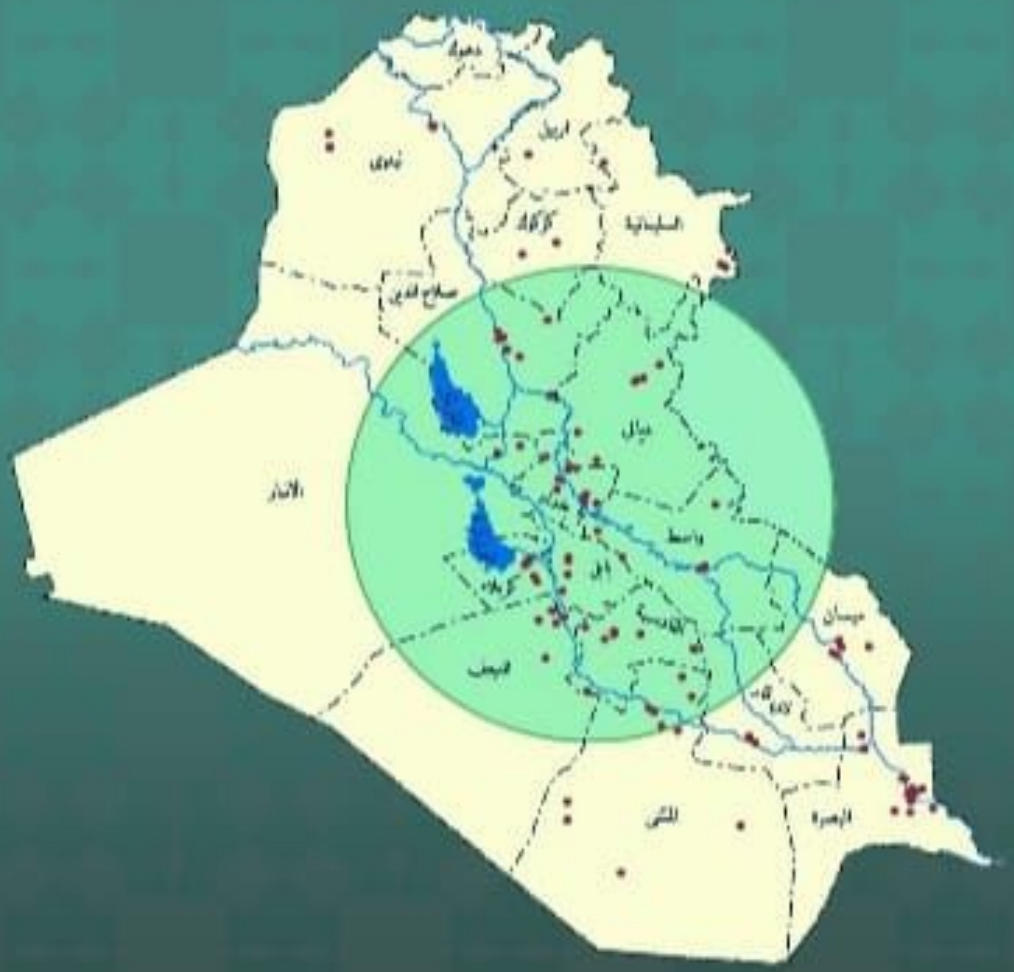
ذاكرة الألم في العراق

وقائع المؤتمر الدولي الثاني

16-17 نيسان 2025م



المجلد الرابع الأوراق البحثية

هوية الكتاب

وقائع المؤتمر الدولي الثاني ذاكرة الألم في العراق

قرن من الجرائم والإبادة الجماعية والمجازر والانتهاكات

المشرف العام: السيد عقيل عبد الحسين الياسري -الدكتور عباس عطية القريشي

تحرير: أ.د. قيس ناصر راهي- د. ثائر غالب الخيكاني

المؤلف : مجموعة مؤلفين

الناشر: المركز العراقي لتوثيق جرائم التطرف/ العتبة العباسية المقدسة

المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

سنة الطبع: 2026م

الترقيم الدولي: 978-9922-262-02-4

رقم الإيداع في المكتبة الوطنية: 124/ 2026

التدقيق اللغوي: أ.د. مصعب مكي زبيبة

الإخراج الفني: كاظم سعيد الفتلاوي

حجم الكتاب: 190 × 270

عدد الصفحات: 266

جميع حقوق النشر محفوظة للمركز العراقي لتوثيق جرائم التطرف، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب من دون إذن خطي مسبق من المركز

تنبيه:إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر .

المحتويات

ذاكرة الألم والعدالة الانتقالية ٧

ذاكرة الألم العراقي-الآشوريون المسيحيون حالة للدراسة- ١١

عملية الأنفال الأولى ضد الكرد الفيليين في العراق قضية إبعاد ورهائن لمواطنين عراقيين
من قبل نظام صدام البعثي، ١٩٨٠ إلى ١٩٩٠م ٢٥

التأثيرات العرقية والاجتماعية والنفسية للقومية التركمانية من جرائم التطرف ٣٧

التهجير القسري والإبادة الجماعية ضد المكون التركماني في العراق ٥٣

ترحيل الشبك ١٩٨٨م ٨٧

الإبادة الجماعية لناحية تازة خورماتو سنة ١٩٩١ خلال الانتفاضة الشعبانية المباركة لتركمان الشيعة ١٢١

ذاكرة الألم والمعاناة للتركمان في طوزخورماتو خلال حقبة نظام البعث: تحليل تاريخي
(ما قبل وما بعد عام ٢٠٠٣) ١٥١

من ذاكرة ألم تازة خورماتو نموذجا هيروشيما العراق بعد ٢٠٠٣م ١٧٧

الشبك والنزوح الكبير ٢٠٥

طوز والليالي السوداء ٢٣١

توصيات المؤتمر ٢٥٩

ذاكرة الألم العراقي

-الآشوريون المسيحيون حالة للدراسة-

د. عوديشو ملكو آشيثا

المقدمة:

الألم: حسب المعجم الوسيط هو: «الشعور بما يضاد اللذة، سواء أكان الشعور نفسياً أم خلقياً». ربما يكون هذا التعريف المعجمي للألم غير مستوف القدرة للوقوف على جميع فضاءات الألم النفسية والجسدية للشخص. أو المجموعة أو الشعب بأسره في زمان ومكان ما. لكنه (التعريف) يبدو لي أوفر حظاً للاعتماد عليه لمعرفة ما كان قد عني منه فرد في المجموعة، والمجموعة في شعب بلاد ما، وفي زمان ومكان ما! من خلال ما تحفظه الذاكرة لنا.

هكذا فإن محدثكم كشخص عراقي آشوري أو أي شخص آخر من جميع المكونات (المجاميع) العراقية الكريمة عندما تستحضر ذاكرته كمّ من الألم يكون مصدر ذلك الألم من دائرة وجوده وطبيعة حياته (كفرد) في زمان ومكان وقوع ذلك الألم تحديداً. ولكن عندما يتم التقصي والبحث عن سبب وكيفية وقوعه على المتلقي (جسدياً أو نفسياً أو كليهما معاً) الإفصاح عن ماهية هذا الحدث (الألم)، يتضح أن ذاكرة الألم الفردي، فيها نوع من الشمولية بحيث تكاد تعاني منها كامل المجموعة التي يعيش بينها ذلك الشخص (الضحية). والسبب في ذلك أن معظم المجاميع (المكونات) العراقية وقبل بضعة عقود من الآن كانت تعيش وتعمل وتشعر وكأنها (كل مجموعة) وحدة أو أقلية واحدة متكاملة الأواصر.. ومن ثم وبفعل الاحتكاك الشعبوي ومن خلال الضوابط والتقاليد الاجتماعية وحتى دساتير البلدان المقرّة من السلطة في كل بلد بعيداً عن المفهوم الإنساني أولاً ومن ثم الديمقراطي. تتسع ذاكرة الألم لشخص ما في حالة استعادتها لتشمل كامل المجموعة التي يعيش معها. ومن ثم تتسع دائرتها لتشمل معظم الشعب الذي تكون تلك المجموعة المحددة جزءاً منه. أي جزء من مجموع الشعب لذلك البلد المحدد.

من هنا فإننا سوف نتطرق إلى بعض من تجاربنا الشخصية مع ذاكرة الألم التي تكاد تنطبق مع ذاكرة الألم للمجموعة التي تنتمي اليها ـ الآشوريون المسيحيون ـ في العراق الملكي ومن ثم الجمهوري. هذه التجارب الفردية أو الشخصية هي في الحقيقة كانت تجارب مجموعاتية كالآشوريين، التركمان، الكرد (ليس في العموم)، الإيزيديين، الصابئة المندائية، بالإضافة إلى مجموعات مذهبية وعرقية في الإسلام نفسه، لتصبح مأساة شبه عامة تشمل شريحة واسعة في بلد ذو مكانة وقيمة دولية كبيرة، إنه العراق! البلد، والهوية، والحضارة، والاقتصاد... الخ.

وبأسلوب أكثر تحديداً، نقول: إن مسألة الهوية والمواطنة في ذاكرة الألم التي استمرت منذ تأسيس العراق المعاصر ولحد الآن 2025م، ومسألة التعليم واللغة والحضارة وما تفرزه ذاكرة الألم بين الشعب في هذا الخصوص. ومسألة الجغرافية: مع أن الجغرافية العراقية شبه مستقرة خلال المائة سنة الأخيرة، إلا إن ذاكرة الألم في هذا المجال ليست بهيّنة أو قليلة التأثير في نفوس نسبة عالية من مكونات هذا البلد، عند الأخذ بالاعتبار الجغرافية الداخلية والوضع الديموغرافي لسكانه ومنهم الآشوريون.

هذه المسائل الثلاث: (الهوية والمواطنة، التعليم واللغة، الجغرافية الداخلية والخارجية) ما زالت ساخنة وتتفاعل باستمرار؛ لأنه في حقيقة الأمر ما زال عدد من مكونات الشعب العراقي يعاني منها ليس من خلال ذاكرة الألم فقط، بل في واقع الحياة اليومية، وربما يحتل الآشوريون صدارة القائمة!

وهو معلوم أن الموضوع الخاضع للمعالجة والمطلوب تسليط الضوء عليه في هذا المؤتمر واسع وعميق جداً بالنظر إلى طول الحقبة الزمنية التي يسمح للباحث معالجتها، أي منذ تأسيس العراق (1921) وإلى اليوم. بالإضافة إلى مسألة (الذاكرة) بحد ذاتها هي من التشعب والشمولية يستحيل تحديدها. عليه فإن معالجة بعض المسائل الأساسية مثل (الهوية والمواطنة، والتعليم، والجغرافية بنوعيها) بالاستناد إلى التجربة (الذاكرة) الفردية أو الشخصية تكون مهمة، بل مهمة جداً لمكون عراقي صغير مثل المكون الآشوري (المسيحي) الذي يختلف عن بقية المكونات في كل شيء تقريباً سوى في الهوية والمواطنة التي كانت وما تزال لسوء الحظ العقبة الكأداء في طريق كل آشوري لكي يصل إلى الشعور (حالة التلذذ والزهو) بأن هذا الوطن هو وطنه وأن الهوية العراقية مكسب، بل فخر له ولذريته. من هنا فلا بد من التطرق ولو قليلاً على ما سميناه بـ (ذاكرة الألم الفردية)

أتذكر في ربيع عام 1960. كنّا وبيت عمي وعشرات البيوتات رعاة غنم متنقلين بين منطقة

دهوك في الشتاء ومنطقة برواري قرب الحدود التركية في الصيف. في ذلك العام المذكور تأخرنا في انتقالنا إلى برواري بسبب تأخر الامتحانات النهائية للمرحلة الابتدائية بعض الشيء (كنا تلاميذاً في المدرسة). وكان والدي يرعى الغنم حوالي مدينة دهوك. كانت مدينة صغيرة آنذاك.

في أحد الأيام الربيعية المشمسة داهمته مفرزة من الشرطة وساقته بخشونة إلى المركز. تأخر بعض الشيء هناك! وعندما عاد إلينا، سألته والدتي: ماذا قالوا لك: أجاب والحسرة في قلبه، قالوا : «ارحل أنت وماشيتك من هنا بعيداً كفاك تسبب الأضرار بالفلاحين». فقلت له: «إلى أين اذهب أفندم ؟» فكان جواب مسؤول الشرطة: «اذهب إلى الجحيم أيها (الفلا)(1) المنبوذ .

صدقوني: إن هذا الحدث وهذا الجواب لم أتمكن من نسيانهما إلى الآن أي بعد (55) عاماً على ذلك. وكلما أتذكرهما أتألم كثيراً ليس لكون الحدث قد جرى لوالدي وحده، بل لأنه أو مثله قد جرى بحق المئات من الآشوريين في العشرات من الأمكنة والأزمنة. وليس هذا فقط، بل لأن هؤلاء الآشوريين كانت هويتهم مسلوبة ووطنيتهم غير مقبولة وصاروا منبوذين في يقين الآخرين؛ لأن حفنة قومية فاشية متعصبة أرادت ذلك عندما اقترفوا مذبحة سميل بحق الآشوريين عام 1933 وقتلوا (6000) شخص وأبعدوا البطريرك الآشوري وعائلته إلى جزيرة قبرص!

أتذكر أنه في عام 1968 قدمت طلب إلى الجهات الرسمية في دهوك للحصول على شهادة الجنسية العراقية لكي يحق الالتحاق بالجامعة. رفع طلبي إلى دائرة نفوس الموصل لأنني آشوري، وهناك تم اقتيادي إلى غرفة ضيقة (غرفة التحقيق مع الآشوريين) يداوم فيها شرطي تفوح منه رائحة الدخان، وهو قابع خلف منضدة لا يعلم عمرها إلا الله. تحيط به سجلات كبيرة ومتربة وكثير منها ممزق. كان استجواباً صلفاً: ماذا تريد أيها الآثوري الخائن؟ نعم أريد تأييداً للحصول على الشهادة الجنسية العراقية! انتظر خارج الغرفة! وأجلب معك رزمة من الأوراق والكاربون.

بعد انتظار طويل تم استدعائي للتحقيق المباشر من ذلك الشرطي الهرم الحاقد ربما على نفسه ومكان عمله وعلى الآشوريين جميعاً.

– هل اشتركتم عام 1933 في الحرب ضد الحكومة ؟ "كلا سيدي".

---

(1) (فلا) تخريج لفظي عربي ومن ثم كردي لمفردة الفلاح التي كانوا ينعتون بها سكان الموصل ومحيطها الآشوريين لكونهم فلاحين أصحاب الأرض هناك.

– هل هاجر أحد من والديك أو خوالك أو أقاربك إلى سوريا عام 1933 وما بعده؟ "مطلقاً سيدي، نحن نحب العراق".

– هل ساهم والديك وأقاربك في إقامة دولة للآشوريين داخل العراق أو خارجه كان الجواب واحداً: "كلا سيدي"! انتظر في الخارج لأتأكد من السجلات.

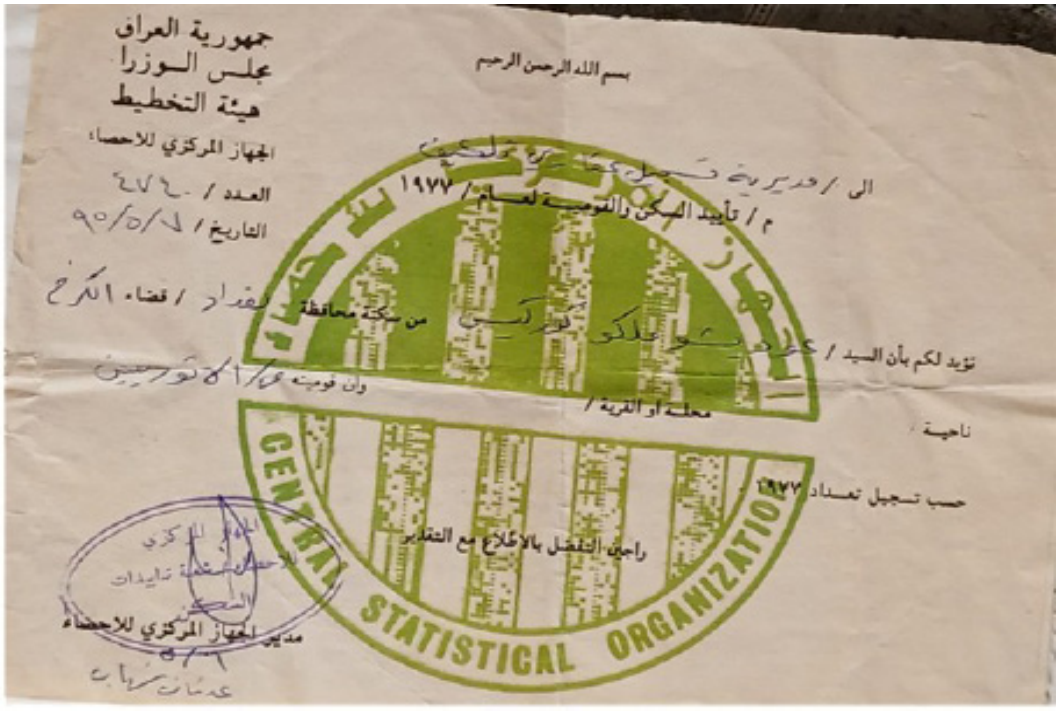
وفي الختام: قرأ لي ورقة بخط يده سماها تعهداً خطياً، وهذا المفيد من نصها: (أتعهد بأن لا أسجل اسمي واسم أحد أفراد عائلتي في أي مشروع لإقامة دولة للآشوريين داخل العراق أو خارجه) وقعت على ذلك التعهد بسرعة لعلني أخرج من تلك الغرفة سالماً.

أي هذا الحدث وحيثياته والأجواء التي جرت فيها...الخ. لم ينجوا منها آشوري واحد على الإطلاق إن كان يطلب الحصول على الجنسية العراقية. وان الشعور الإحباط الذي سببه، وغرفة التحقيق مع الآشوريين وشرطيها العتيق، وسجلاته البالية ما زالت تحفز ذاكرة الألم في نفوس عشرات الآلاف من الآشوريين في جميع أنحاء العالم. فهناك من غادر الوطن بسبب الألم الذي سببته له. وآخر بسبب ظهور اسم أحد ذويه فيه، أو حصول تشابه أسماء، فقد غادر الوطن لعدم حصوله على شرف الوطنية والجنسية العراقية، وآخر تم إبعاده لأنه لم يستطع أن يكون عراقياً بسبب كون أجداده من التبعية التركية أو الإيرانية، وهو حفيد آشور بانيبال.

- أتذكر خلال التسعينات من القرن العشرين في بغداد عندما قدمت طلباً للحصول على شهادة الجنسية العراقية لأبنائي– قال الكمبيوتر إن المدعوة (فلانة) بنت عوديشو ملكو كوركيس، وأن كوركيس جدّ الوالد بالنسبة إلى طالب الجنسية. كان اسم زوجته يونو عوديشو جهان شاه، قال لي عرّاب الكمبيوتر: "مع الأسف إن قضيتك صعبة" مشيراً إلى اسم جهان شاه الذي هو الجدّ السابع في ما يتعلق الحصول على الجنسية العراقية.

- في عام 1995 أردت شراء هيكل دار في إحدى قرى قضاء تلكيف، محافظة نينوى. قيل لي يجب أن تحصل على موافقة الجهات العليا في بغداد. ورفعت دائرة التسجيل العقاري طلباً بذلك إلى جهات (لا أعرفها) في بغداد. وبعد مرور حوالي (6) أشهر جاء الجواب يفيد، بأنه (أي أنا) وزوجته من الآشوريين! معنى ذلك لا يحق لي أن أمتلك هيكل دار في قرية من قرى قضاء تلكيف لأنني من

الآشوريين! لكم ولي ولنا جميعاً أن نتصور الكم الهائل من الألم الذي حمله من ارتحل من الحياة الدنيا، ويحمله من هو على قيد الحياة في هذا العراق!



نكتفي بهذا القدر اليسير من ذاكرة الألم الشخصية للباحث. ونقدم بعض المواقف العامة للآشوريين:

- بعد نكبة سميل عام 1933 تجاه الآشوريين، ومدى التقتيل والهول الذي أنزل على رؤوسهم دون وجه حق. ومن دون الخوض في التفاصيل من حيث الأسباب وعدد القتلى وهدم القرى وسبي النساء والأطفال والقتل على الهوية...الخ. لأن معظمكم على علم بها وإن كان على مستويات مختلفة. وإذا بأحد الشخصيات الآشورية البارزة من بين المؤيدين(1) لإنزال هذا العقاب المرير بحق إخوانه الآشوريين من الضحايا بعد أن أنّبه ضميره يقول للمستشار الإنكليزي في الموصل ستفورد(2) بأنه ندم كثيراً على وقوفه مع الحكومة العراقية ضدّ الضحايا، بعد أن شاهد حجم القتل والعنف والخراب الذي حلّ بهم. وأنه طلب من حضرة المستشار الإنكليزي أن يجد الإنكليز مكاناً خارج العراق ليغادر إليه هو والمجموعة المؤيدة له.

(1) نتحفظ من ذكر اسمه.

(2) رونالد سيمتل ستفورد.

إن هذا الموقف من ذلك الشخص المؤيد للسلطة في حينها، ليس إلا المثال الحي والناطق بل الصارخ بصوت عالٍ باسم ذاكرة الألم لحادث راح ضحيته عشرات الآلاف من الأنفس بين قتيل وسجين ومفقود ومهجّر ومنفي ومسبي. وليس من المبالغة لو قلنا راحت ضحيته الأمة الآشورية بالكامل كوحدة بشرية لها وزنها في تقرير مصير العرق منذ 1933 وإلى الآن وإلى المدى المنظور على الأقل. لعدم ظهور أية مواقف إيجابية من لدن الدولة وسلطاتها تجاه الضحايا وذويهم. وتجاه المسألة الآشورية برمتها من حيث خصوصياتها التأريخية والحضارية والوطنية والقومية والثقافية.

وإن تداعيات نكبة سميل ما زالت تتفاعل في المجتمع الآشوري والمسيحي في كل المنطقة، وهي كذلك مع المجتمع العراقي بالكامل. فهي قد غرست في ذهنية الإنسان العراقي المعاصر عقيدة الانتقام من أخيه وابن وطنه لأبسط الأسباب. ومن جهة أخرى أنها (نكبة سميل) قد مهدت الشعور والرغبة لدى الجيش العراقي للتدخل في السياسة، وطموح الوصول إلى دفّة الحكم. والدليل على ذلك ما فعله القائد العسكري الميداني (أمير اللواء بكر صدقي) الضابط الكردي العثماني العراقي بحق عرب الفرات الأوسط فقد أصدر أمراً عسكرياً صارماً "بأن لا تستعمل أية شَفَقة أو رحمة مع الثائرين، وأن تحرق مزارعهم ويقتل أي أسير أو جريح وأن تهدم بيوتهم."(1)

وبعد تطويق منطقة الرميثة في 9/ 5/ 1935 انهال القصف المدفعي وقنابل الطائرات وسقطت عشرون قنبلة على منزل الشيخ خوام العبد العباس قائد تلك الانتفاضة وجعله كدساً من الانقاض. وقد نقل الحسني عن مدير الشرطة العام أن الجيش كان قد أسر ثلاثين ثائراً واعتبرهم أسرى حرب وأمر بكر صدقي برميهم بالرصاص فوراً.

وبعد إخماد ثورة الشعب في الرميثة بقليل نجد الضابط نفسه يقوم بالانقلاب على الملك والبلاط! وبذلك يكون الجيش العراقي الذي واجبه حماية الوطن والحرص على سلامة المواطن، ينال شرف تنفيذ أول انقلاب دموي في العراق، وبعده تتوالى الانقلابات في العراق وكافة البلاد العربية، وتصبح المسألة اعتيادية ومقبولة سياسياً وشعبياً لدى كافة دعاة القومية، وحتى دعاة المذهبية إلى حدّ ما!

- وبالعودة إلى نكبة سميل ودورها في ذاكرة الألم لدى جميع الآشوريين في العالم الحاصلين أو غير الحاصلين على الجنسية العراقية (الحالية) بسبب فقدانهم لأكثر من تسعين من قراهم بين دهوك

(1) الراوي: اللواء الركن إبراهيم حمدي، من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث، بيروت 1969، ص 165.

وزاخو وعمادية وعقرة وسقوط حوالي ستة آلاف قتيل من إقرانهم ومن جميع الأعمار والأجناس وإبعاد أو فرار أكثر من عشرين ألف منهم إلى سوريا خلال (1933-1938)(1) بالإضافة إلى عدد غير معلن لكنه كبير، من المسبيين خصوصاً من النساء والأطفال من الجنسين. والآن بعد مرور (92) عاماً على تلك الإبادة الجماعية لم يتخذ أيّ إجراء رسمي (حكومي/ برلماني) أو (شعبي/ سياسي) أو (منظماتي/ إنساني) لتخفيف ذلك الألم ومسح شيء من تلك الذاكرة الأليمة المؤلمة.

رغم كل ذلك فهناك: أربعة مواقف من بين عشرات أخرى تتعلق بنكبة سميل وإفرازاتها ما زالت تحفز ذاكرة الألم تلك في النفوس!

1- موقف احتفال الشعب الموصلي وتوزيع الحلويات عند استقبالهم الجيش الذي فتك بأبناء شعبه، وتوزيع الأوسمة والنياشين لمن تمادى في القتل والذبح أكثر من غيره. وبتلك المناسبة الدموية كان باعة الخضراوات والفواكه في السوق يعلقون فاكهة (الرقي) ويحزّونها بالسكاكين لكي ينزف ويتساقط لبها اللون الأحمر على الأرض، دلالة على الاستعداد للبطش بالسلاح الأبيض بالآشوريين وجعلهم ينزفون الدم حتى الموت.

2- طلب الحكومة في الموصل رسمياً من القس كينا البازي ومالك خمو والقس يوسف قليتا الذهاب إلى من في (معسكر اليتامى والأرامل) وجميعهم من النساء والأطفال، الذهاب إلى هؤلاء البؤساء وتبليغهم رسمياً بأن يقولوا للصحفيين والزوار الأجانب، بأن الذي قام بذبح رجالهم وأرباب عائلاتهم والتمثيل بالجثث لم يكن الجيش العراقي، بل مجاميع أو عصابات كردية وعربية بدوية غايتها السلب والنهب. فردت النسوة والأطفال في ذلك المعسكر بالبصق على الوفد الزائر ورميهم بالنعل مع الصراخ في وجوههم ووصمهم بالخيانة لأمتهم وبني جلدتهم!

3- يقول المفتش الإداري البريطاني في الموصل الكولونيل ستفورد بأنه تجول في القرى الآشورية المنكوبة في أيلول 1933 والتقى مع بقية الأهالي الذين عادوا إلى قراهم وشاهد بأنهم لم يقوموا بإعادة بناء بيوتهم المحروقة والمهدمة. وأنه حاول إقناعهم بالبذار وزراعة أرضهم؛ لأن الفصل كان خريفاً وهو موسم الزراعة. ولاحظ أيضاً بأن معنوياتهم كانت هابطة جداً وأن سمعتهم وهيبتهم كآشوريين شجعان كانوا قد فقدوها في عيون جيرانهم الكرد والعرب بشكل كبير! وأن لسان حال معظمهم كان

(1) Dudge، B، The Settlement of the Assyrians on the Khabur، "Royal central Asian Journal"، 1940، July، Vol. XXV، P. 307.

يقول: « لسنا ندري متى تقوم فينا مذبحة ثانية، وبأي زعم سخيف ستبدأ... وإنهم باتوا يدركون حقّ الإدراك ذلك الشكل الذي تثأر به النعرة الدينية والتعصب القومي لتخرج منها نار تحرق الأخضر واليابس. إنهم يدركون كم يسهل على أية حكومة في بغداد تعبئة تظاهرة صاخبة أو إثارة الرأي العام إلى حدّ الهستيريا بمجرد صرف بضعة من الدنانير لا غير.» (1)

4- هذه النقطة تتعلق بالحالة النفسية وألم الفراق عن الأرض والوطن التي كان يعاني منها جميع المهجرين والفارّين إلى سوريا. إذ كانوا يتجمعون عند ظلال الحيطان الطينية لبيوتهم البسيطة والمتواضعة. ويتذكرون أيام العراق ويحنون إلى ديارهم وقراهم التي فقدوها دون وجه حق. وقال الراوي الذي نقل لي هذه الصورة «بأن عيون أغلبهم كانت تذرف الدموع وهم يتمتمون يا ليتنا رأينا الوطن والديار مرة أخرى قبل الموت. وأضاف بأنه وجيله (الثاني) كان يتأسف على موت كل فرد من تلكم المجموعة (المبعدين) والحسرة في قلوبهم والألم في نفوسهم؛ لأنهم انتقلوا إلى العلّي العظيم دون أن يعودوا إلى أرض الوطن ويشربوا كأس ماء من ينابيع وطنهم المباركة».(2)

إنها مأساة حقاً وألم ما بعده ألم، فالذي قُتل، ربما كان كمحصلة، أكثر حظاً بالمقارنة مع الذي لم يقتل، بل نفذ بحقه حكم الموت البطيء (كما جاء في الزبور: لأجلك نقتل كل يوم).

هناك محطة مهمة أخرى من محطات ذاكرة الألم الآشورية، التي ما أكثرها: مع اندلاع الحركة الكردية في شمال العراق عام 1961 وقيام الحكومة بتسليح القبائل الكردية الموالية لها لمساندة الجيش العراقي، كما فعلت الحكومة الملكية مع الكرد والقبائل البدوية العربية أيام نكبة سميل. فقامت تلك المليشيات (جتة) بعمليات سلب ونهب وحرق القرى الآشورية/ المسيحية في مناطق عدة مثل زاخو والعمادية وعقرة وزيبار وسوران، وعلى مستوى واسع. وكأنه توجيه منظم لتهجير الفلاح الآشوري خارج المنطقة، تاركاً أرضه وأملاكه لجيرانه. وخلال هذه العملية (حملة التصفية العرقية) (المسألة الجغرافية والديموغرافية) تم قتل العديد من الآشوريين وهتك الأعراض في بعض المناطق كما حصل مع دير الراهبات في قرية أرادن (وادي صبنا). إذ أقدمن بعض الراهبات على الانتحار من خلال رمي أنفسهن من سطح الدير كي لا يقعن فريسة بيد القوة التي من المفترض أن تحمي الشعب وتصون ممتلكاته! وليس أن تسلب وتقتل وتهجر، ومن تستحوذ على القرى والأراضي!

---

(1) ستفورد، رونالد سيمتل، مأساة الآشوريين ت. جرجيس فتح الله، نظرات في القومية العربية مداً وجزراً، ج 4، أربيل 2004، ص 1825.

(2) السيد كاشو كاشو من أبناء المبعدين إلى سوريا وهو يقيم حاليا في هولندا.

وكنتيجة لهذه العمليات المقصودة أو المدروسة جيداً تم تهجير أكثر من (65) قرية آشورية من الأقضية: زاخو وعمادية ودهوك وحرير بين (1961-1962) (1)

لجأ الضحايا إلى المدن الكبيرة مثل (بغداد، الموصل، كركوك، والبصرة وغيرها) وهم لا يملكون شيئاً ولا يتكلمون حتى اللغة العربية. وهنا دارت عليهم دوائر المعاناة الاجتماعية والاقتصادية وحتى الحضارية والثقافية، وصعبت عليهم حتى لقمة العيش (لا نقول الكريم). فهم كانوا من بالريف (قرويون) لا يمكنهم التأقلم مع أجواء وحياة المدينة بسهولة. هكذا وكأن يداً خفية كانت تنتظرهم وخططت لهم مصيرهم من خلال فتح باب الهجرة إلى العالم الغربي، بعد فتح جمعيات التسفير الخاصة لهم في لبنان. وتم اقتياد عشرات الآلاف منهم إلى المهاجر بهذه الطريقة السلسة والرهيبة في الوقت نفسه. كان ظاهرها إنساني بحت، لكن غاياتها المخفية أدت إلى تصفية أكثر من نصف مليون آشوري خلال عقد من الزمن، وقلعهم من وطنهم وتشتيتهم في أكثر من (45) دولة. ولم يبقَ لهم إلا مهماز الذكرى الذي كان يوخز الجرح العميق في صدورهم مسبباً لهم ألماً فضيعاً لا يهدأ.

- الأحداث المؤلمة التي لا تقبل الذاكرة أن تمحوها بأي شكل من الأشكال هي كثيرة خلال مدة حكم البعث بل كثيرة جداً. لكن لعدم سعة الوقت، ولكوننا على ثقة بأن المستمع والقارئ على اطلاع واسع بكثير منها؛ لذلك نكتفي بذكر حالة واحدة من حالات تفسير وتطبيق بيانات العفو العام التي كان يصدرها النظام السابق لصالح المواطنين في شمال الوطن. إذ كان بيان أو قرار العفو العام الصادر من الجهات الرسمية عام 1988 لا يميز بين سكان المراد العفو عنهم على أساس ديني أو عرقي أو مذهبي، فالعفو هو العفو. ولكن عند التطبيق كان المشرفون على التنفيذ يزجون بالآشوريين من كل المذاهب الذين يسلمون أنفسهم إلى السلطات في غياب السجون ومراكز (تجميع المجرمين) حسب وصف الحكومة لهم، دون الأخذ بالاعتبار العمر أو الجنس. ومن ثم يتم نقلهم إلى المجهول بمعنى إلى الإعدام والمقابر الجماعية بحجة إنهم آشوريون مسيحيون، وأن العفو العام هو للأكراد حصراً. وقد تم قتل وتغييب المئات من العوائل الآشورية بالكامل جراء هذا التفسير وهذه الممارسة الشريرة بحق أناس أبرياء ومن دون الوقوف على أي أثر لهم خصوصاً في مناطق زاخو ودهوك والعمادية وعقرة وزيبار، إذ كانت توجد كثافة كبيرة من الآشوريين الساكنين في الريف والقرى للمناطق المذكورة. لا

(1) دونابيد، د. سرجون جورج، إعادة صياغة تاريخ منسي ت. إسماعيل محمد فهمي سعيد، دهوك 2023، ص 407.

يمكن للباحث أن يصنف هكذا تصرف ويحدد موقعه. أ هو يتبع إلى خانة الهوية أو المذهب أو العرق أو الجغرافيا أو التغيير الديموغرافي من الخانات السيئات لذاكرة الألم العراقي! إنما الشيء الوحيد الذي يمكن التأكد منه هو هلاك أعداد كبيرة من مواطنين آشوريين بهذه الطريقة العجيبة الغريبة في تفسير وتطبيق قرارات الدولة!

والغريب في الأمر أن ما حصل بحق الآشوريين كان يعارض كلياً مع التوجيهات غير المعلنة بخصوص منع تسجيل (الآشورية) تحت فقرة القومية بالنسبة للآشوريين في الإحصاء العام، والطلب اليهم باختيار: أما القومية العربية أو الكردية. ولكن عندما تعلق الأمر بالقتل أصرّوا على آشورية الآشوريين ورفضوا شمولهم بالعفو لأنهم لم يكونوا كرداً ولا عرباً!

- منذ نكبة سميل 1933 لغاية 2003 فقد الآشوريون ثلاثة أرباع أراضيهم في المحافظات الشمالية من العراق عندما تم إرغامهم على ترك قراهم وممتلكاتهم بالكامل. وقد آلتْ تلك القرى إلى جيرانهم الكرد بصورة طبيعية دون مساءلة منذ ذلك التاريخ ولحد الآن. حصل كل ذلك بسبب ما مررنا عليه بإيجاز من خلال وصف ذاكرة الألم للآشوريين، سواء الذاكرة الفردية أي (الناتجة عن حدث شخصي) أو من خلال الأحداث التي واجهت المجتمع الآشوري وهي كثيرة! إن كل ذلك قد تسبب بما يمكن وصفه بذاكرة الألم الجغرافية أو جغرافية الألم. وأن الآشوريين هم أكثر من تعرض إلى هكذا ذاكرة في العراق وما زالوا يعانون من الألم الذي سببته هذه الذاكرة؛ لأن الإنسان الذي يعلم بأنه صاحب هذه الأرض، وأنها تشكل جزءاً منه ومن وجدانه، وإذا به يصبح لاجئاً لا أرض ولا اسم ولا هوية ولا كرامة له! فلنتصور حجم المعاناة التي يواجهها كل يوم وكل سنة! وقد تم إبعاد آلاف من الآشوريين بحجج مصطنعة منها مسألة التبعية لإيران أو تركيا أو سورية. فالآشوري الذي عاش أجداده في منطقة تابعة للسلطة العثمانية منذ ما قبل الحرب العالمية الأولى، وهي خارج حدود العراق الحالي يعتبر تبعية لدولة أخرى يجب إبعاده. أما ساسة العراق الذين جلبهم الملك فيصل من سوريا وفلسطين والأردن ومصر...والخ، يوم دخوله العراق كأنهم لم يكونوا تبعية عثمانية، بل أصبحوا عراقيين أقحاح، وأصحاب القرار لتقرير مصير الشعب الآشوري الذي عاش على أرضه منذ ما قبل التاريخ. فلا يجب أن ننسى مقولة رستم حيدر البعلبكي من لبنان، الذي كان قد شغل منصب السكرتير الملك فيصل عندما قال: يجب علينا جعل الآشوريين والأكراد قرباناً على مذبح الأمة العربية

«إن القضاء التام على الأقليات المسيحية والأكراد معاً في لواء الموصل واقعة لا محال، يجب تصفية الأقليات على مذبح العروبة»(1)

• وفيما يخص مسألة التعليم الرسمي في الدولة العراقية الملكية/ الجمهورية، فكانت معاناة الآشوريين أكبر من الألم من خلال الذاكرة. إذ لم ولن يهدأ هذا الألم يوماً منذ تأسيس العراق المعاصر ولحد الآن. ونعني هنا التعليم بشقيه الثقافي (الحضاري والتاريخي) واللغوي معاً. فتعليم اللغة الآشورية كان شبه معدوم بسبب ضغوطات السلطة من جهة وبسبب العجز المطبق للأشوريين أنفسهم في مسألة فتح المدارس للأطفال باستثناء بعض الحالات النادرة؛ إذ كانت قد فتحت بعض شبه مدارس في الكنائس، ولكن معظمها لم تستمر طويلاً فقد أغلق البعض، وتم تأميم البعض بعد بضعة سنين من فتحها. ليس لأنها كانت تخالف القوانين، بل لأنها كانت تدرس اللغة الآشورية.

أما التعليم الثقافي والحضاري في المدارس الرسمية وعلى المستوى الوطني والأكاديمي عن الآشوريين في المراحل المتوسطة والإعدادية فقد شطب من المناهج كلياً خلال حقبة نظام البعث ولحدّ الآن سواء في المركز أو الإقليم. فالإعلام والثقافة في العراق يفتخران بالحضارة العراقية القديمة كل الافتخار، ولكنهم ينكران على أصحاب هذه الحضارة عراقيتهم وآشوريتهم من خلال عدم السماح لهم بتدريس ودراسة لغتهم وثقافتهم وتاريخهم بشكل عصري وحضاري، وينكر عليهم حتى اسمهم القومي، فيسميهم تارة المكون المسيحي ولغتهم سريانية وتارة ينعتهم بالسريان مع العلم أن هذه التسميات مذهبية وحديثة العهد مقارنة بزمن إرساء أسس العلم والحضارة والثقافة بأنواعها وباللغة الآشورية البابلية في بلاد وادي الرافدين. إلا إذا كنا نؤمن بإسقاط الحاضر على الماضي وهذا مخالف لنهج البحث العلمي بكل المقاييس. فالإقرار بالسريانية كلغة للآشوريين وتدريسها هنا وهناك على المستوى الجامعي هو في جوهره خطوة لطمس الهوية والوجود الآشوري معاً.

فهل هناك ذاكرة لألم أفظع من هذا الوضع الذي عاشه ويعيشه الآشوريون في بلادهم، فالجميع هنا في العراق يفتخرون بأنهم وافدون من مكان ما إلى العراق، عدا الآشوريين فهم لم يكن لهم مكاناً لينتقلوا منه إلى العراق.

---

(1) مالك، يوسف، الخيانة البريطانية للآشوريين، ت. يونان أيليا يونان، أمريكا 1981، ص 86.

الخاتمة:

ومن خلال هذا المؤتمر الموقر ندعو كافة القائمين على شؤون التشريع بأن يعيدوا الحق والإنصاف إلى أهله، ليعيش كل عراقي وهو يتلذذ بنكهة عراقيته بعيداً عن ذاكرة الألم القابعة في ضميره سواء كان آشورياً أو غير آشوري من المكونات القليلة في تعدادها والكبيرة في عطائها كالمكون الآشوري الذي لولاه لما كانت ولاية الموصل عراقية اليوم. الموصل التي كانت تضم آنذاك كل من كركوك، ودهوك، وأربيل وحتى السليمانية. المؤرخون العراقيون يعرفون ذلك جيداً بالإضافة إلى لجان تخطيط الحدود من عصبة الأمم. عليه: وحسب توجهات وطموحات هذا المؤتمر يتوجب:

1ـ التسريع بإصدار تشريعات تضمن إعادة الجنسية العراقية لكل آشوري حيثما كان وأينما كان وبالأخص أبناء وأحفاد ضحايا نكبة سميل عام 1933.

2. الإقرار بالحقوق السياسية والثقافية الكاملة للآشوريين ولبقية المكونات، صغيرة كانت أم كبيرة في الوطن الواحد العراق. مع الإشراف الحقيقي على التنفيذ الفعلي لتلك الحقوق.

3. إعادة كامل القرى والأراضي والأملاك التي سحبت ملكيتها من المظلومين والضحايا الآشوريين منذ تأسيس الدولة العراقية فصاعداً، مع توفير المستلزمات الأساسية للعودة إليها.

4. إطلاق الأسماء الآشورية القديمة (الحضارية) على بعض المرافق العامة باعتبارها رموزاً حضارية عراقية وملكاً لكل العراقيين.

وأخيراً لا يسعنا إلا أن نقدم الشكر والامتنان لكافة الجهات التي قامت على إطلاق فكرة هذا المؤتمر (ذاكرة الألم العراقي) وعلى رأسها العتبة العباسية المقدسة، وعملت على إنجاحه بهذا الشكل الرائع والبهيج. المؤتمر الذي من خلاله تمكن من جمع الفئات العراقية المختلفة وجعلت منهم وحدة واحدة. بحيث استمع وأصغى الكل للكل بنفس مطمئنة وضمير مستريح.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر باللغة العربية

1- دونابيد، د. سرجون جورج، إعادة صياغة تاريخ منسي ت. إسماعيل محمد فهمي سعيد، دهوك 2023.

2- ستفورد، رونالد سيمتل، مأساة الآشوريين ت. جرجيس فتح الله، نظرات في القومية العربية مداً وجزراً، ج 4، أربيل 2004م.

3- اللواء الركن إبراهيم حمدي، من الثورة العربية الكبرى إلى العراق الحديث، بيروت 1969 .

4- مالك، يوسف، الخيانة البريطانية للآشوريين، ت. يونان أيليا يونان، أمريكا 1981 .

ثانياً: المصادر باللغة الانجليزية

1- Dudge، B، The Settlement of the Assyrians on the Khabur، "Royal central Asian Journal"، 1940، July، Vol. XXV.